جغرافية الجزيرة العربية

أن دراسة جغرافية أي بلد تأتي في المرتبة الاولى في الاهمية لأنها الاساس الذي تدرس عليه حاثة ذلك البلد. ولابد لفهم تاريخ امة من الأمم من فهم بيئتها الطبيعية حيث ان البيئة من الاسس المهمة في تكوينها فهي تؤثر في طباع السكان ونشاطهم في تكون اجسامهم وتوجيه فعالياتهم ونقصد بالبيئة الطبيعية الظروف الجغرافية والجيولوجية والمناخية ، ففي الوضع الجغرافي للجزيرة العربية نرى بلاد العرب شبه جزيرة مترامية الاطراف . واقعة في الجنوب الغربي من قارة اسيا ، يحدها من الشمال بادية الشام ، ومن الشرق الخليج العربي وعرفت بنصوص وادي الرافدين عند العراقيين القدماء البحر الجنوبي ، والبحر الاسفل والبحر التحتاني وابحر المالح، ومن الجنوب المحيط الهندي ، ومن الغرب البحر او ما اصطلح عليه الجغرافيون باسم (بحر القلزم) ونتيجة لإحاطة المياه بها من اغلب الجهات سميت جريرة العرب، ويعلل الجغرافيون العرب تسميتها بالجزيرة بقولهم لأحاطه البحار والانهار بها من جميع اطرافها واقطارها ، وذلك لان نهر الفرات يقبل من تركيا مرورا بالشام ثم العراق ثم ينحط على اطراف الجزيرة وسواد العراق ، ويبلغ طولها من خليج العقبة الى باب المندب ٢١٠٠كم ، وعرضيا من طرفها الجنوبي لشبه جزيرة سيناء حتى البصرة ١٣٠٠كم ، وعرضها الجنوبي من باب المندب إلى مسقط ٢٠٠٠كم وهي هضبه مرتفعة في الغرب تنحدر تدريجيا نحو الشرق حتى تصبح كالسهل عند سواحل الخليج العربي ، وتنقسم تلك الرقعة الفسيحة إلى عدة أجزاء وأمصار يختلف بعضها عن البعض الآخر قليلا أو كثيرا من حيث التربة والمناخ وأصول السكان ويلاحظ أن موقع شبه الجزيرة العربية يمثل همزة وصل بين القارات الثلاث المعروفة اندالك، فالجزيرة العربية بطبيعتها الإقليمية جزء من صحراوات أفريقيا الشمالية على الرغم من

وجود البحر الأحمر الذي يعد موصلا أكثر منه فاصلا بين سواحل مصر والحجاز وبين سواحل اليمن والحبشة والصومال عند مضيق باب المندب ، أما عن برزخ السويس فكان البوابة الكبرى لعبور الهجرات من جزيرة العرب ومن آسيا وأفريقيا إلى مصر والمغرب ، وبذلك تصبح شبه الجزيرة العربية نقطة الاتصال بين قارتي اسيا وأفريقيا وكأنها وسيلة التوحيد بينهما، أما عن اتصالها بقارة أوروبا فان وقوع الجزء الشمال الغربي من حدودها على البحر المتوسط قد جعل بلادها مفتوحة على أوروبا لان هذا البحر يربط بين الدول والحضارات التي نقع على سواحله في آسيا وأفريقيا وأوروبا لذلك كان هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية موضعا لتفاعل عميق بين حضارات وادي الرافدين وبلاد الشام ومصر وغيرها من حضارات المشرق وبين الحضارة اليونانية والرومانية طوال العصور القديمة والوسطى ويذكر ابن خلدون في وصفها (كأنها داخلة من البر في البحر يحيط بها بحر الحبش من الجنوب وبحر القلزم من الغرب وبحر فارس من الشرق وتفضى إلى العراق فيما بين الشام والبصرة على ألف وخمسمائة ميل بينهما) أن شبه الجزيرة العربية ف طبيعتها الجغرافية تتسم بصفة التصحر إذ تعد حلقة في سلسلة الصحارى الممتدة من شمال أفريقيا وحتى أواسط آسيا ومن ثم فقد كانت السمة الغالبة على مناخها انه مناخ قاري حار جاف قليل المطر رغم أن البحار تحيط بها من ثلاث اتجاهات ويعزى السبب في ذلك إلى ضيق البحر المتوسط والخليج العربي ذلك أن مساحتها اعجز من أن تمد المناطق الداخلية بالرياح الرطبة! " أما البحر العربي فان الرطوبة قد ساعدت على سقوط الأمطار في الأطراف التي تليه من شبه الجزيرة العربية وان كانت رياح السموم شديدة الحر تقاومها مقاومة شديدة وتمنعها في الغالب من الوصول إلى أواسط شبه الجزيرة العربية" إذ تفسد على الرياح المحملة بمياه الأمطار وتمتص رطوبتها قبل أن

تمضي إلى أعماق الصحراء لذا نرى أن الأمطار على وجه العموم قليلة ففي الحجاز تسقط الأمطارعلى نحو متقطع وقد ينحبس المطر لمدة سنوات كما قد تنهال بغزارة فتمتلئ الوديان بالماء وتهدد السيول المدن بالغرق ويتميز جنوب شبه الجزيرة العربية بحصوله على أمطار موسمية ف فصل الصيف تكفي لنشوء مراع خضر وتمتد الخضرة ف هذه الأقاليم إلى نحو مائتي ميل من الساحل وحيث ما توافرت المياه بنسب كافية فقد استطاع أبناء شبه الجزيرة العربية من استغلال الأراضي الخصبة وإقامة الزراعة الدائمة فيها وقد نجح أبناء اليمن في هذا المجال نجاحا كبيرا إذ عرفوا كيف يستغلون تربتهم وجر المياه إلى الأراضي المزروعة حيث ابتكروا نظام القنوات الجوفية وهو عبارة عن أنفاق تحفر في باطن الأرض أو مجموعة من الابار يتصل بعضها ببعض بواسطة نفق تحت الأرض يستعمل لجر المياه من مصادرها من باطن الأرض إلى أماكن استعمالها في القرى والمدن والحقول ويبدو أن هذا النظام وجد أولا في عمان في جنوب شرقي الجزيرة العربية ثم عمم على كافة انحاء الجزيرة قبل أن ينتشر عالميا على أيدى المسلمين أثر الفتوح الإسلامية ، وأقاموا كذلك مدارج على سطوح جبالهم وعلى المرتفعات وأصلحوا تربتهم وذلك لحصر ماه الأمطار عند نزولها ضمانا لدخول التربة وإروائها إذ زرعوا تلك المدارج أو السلالم بمختلف المزروعات وذلك قبل الإسلام بأمد طويل فأمنوا بذلك خيرا وافرا لهم جعل اليمن من اسعد بلاد جزيرة العرب فهي العربية السعيدة والعربية الخضراء وكان من أهم ما اشتهرت اليمن في العصور القديمة بزراعته البخور واللبان والصموغ فضلا عن الحنطة والشعير والذرة والبقول وأنواع الفواكه ولم يكن إنتاج هذه المحاصيل موقوفا على اليمن بل امتد إلى جميع الأقاليم الجنوبية من جزيرة العرب وبعض المناطق الأخرى التي تتوفر فيها كمية مناسبة من الماء مثل بعض مدن الحجاز كالطائف

ويثرب وخيبر وغيرها ولم تخلو الواحات المنتشرة في أنحاء شبه الجزيرة العربية المختلفة من بعض المزروعات البسيطة وبخاصة النخيل هي مثل الجمال ثروة ورأس مال يدر على صاحبه ربحا وفيرا ومن كان له تخلا وأفرا كان غنيا ثريا ، إذ لا يكاد يوجد في شبه جزيرة العرب جزء فيه ماء الا والنخلة هي سيدة المزروعات غير أن المياه الباطنية تتوفر في معظم أجزاء الجزيرة وتكون أحيانا قريبة من سطح الأرض ووافرة لدرجة تكفي للزراعة واستيطان عدد غير قليل من الناس وتدعى هذه المناطق الواحات.

أقسام الجزيرة العربية

من الواضح أن طبيعة ارض الجزيرة العربية تختلف من مكان لآخر فهده البلاد تتكون في الداخل من بادية تنحدر من جبال مرتفعة عبارة عن هضاب وصحاري ونجود ليس فيها انهار ولكن بها بعض العيون أو الآبار التي يجري فيها الماء وعلى العكس تتكون أطراف الجزيرة من التهائم وهي الوديان وتختلف أقسام الجزيرة العربية من حيث التسمية باختلاف الاعصر فكانوا يقسمونها قديما إلى:

١- البادية في الشمال: وتشمل القسم الشمالي من تلك الجزيرة من مشارف الشام إلى حدود نجد والحجاز.

٢- الحاضرة في الجنوب: وتشمل سائر جزيرة العرب وفيها الحجاز ونجد واليمن وغيرها ، أما اليونان والرومان فقد قسموا بلاد العرب إلى ثلاثة أقسام تتفق مع حالة بلاد العرب السياسية في القرن الأول الميلادي وهي:

أ- بلاد العرب الصخرية: وتقع في الشمال من بلاد العرب جنوب غربي بادية الشمام وتضم شبه جزيرة سيناء.

ب – بلاد العرب السعيدة: وهي اليمن والحجاز وعمان.

ج – بلاد العرب الصحراوية: وهي البادية الكبرى التي تمتد من حدود سورية والعراق إلى المحيط الهندي محاذية الخليج العربي وتشكل بلاد العرب القسم الاعظم من هذه الأقسام الثلاثة.

أما الجغرافيون العرب فقد قسموا الجزيرة العربية إلى خمس أقسام بحسب طبيعتها وهي:

١- تهامة: وهي الأرض الواطئة الممتدة بمحاذاة ساحل البحر الأحمر ومن ينبع الى نجران في اليمن وسميت بهذا الاسم لشدة حرها وركود ريحها ومن التهم وهو شدة الحر وركود الريح، وتسمى الغور أيضا لانخفاض أرضها عن ارضى نجد.

٢- الحجاز: ويقع شمال اليمن وشرقي تهامة ويتكون من عدة أودية تتخلل سلسلة جبال السراة الممتدة من بلاد الشام إلى نجران في اليمن نشأت أهمية الحجاز من وقوعه على الطريق التجاري الذي يربط اليمن بمناطق الشمال ويضم من المدن مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وخيبر وفدك وتيماء وقد سمي حجاز لأنه يحتجز بين تهامة ونجد.

٣- نجد: ويمتد بين اليمن جنوبا وبادية السماوة شمالا والعروض وأطراف العراق وسميت نجداً لارتفاع أرضه.

٤- اليمن: ويمتد من نجد الى المحيط الهندي جنوباً والبحر الاحمر غرباً ويتصل به من المشرق حضرموت والشحر وعمان.

٥- العروض: ويشمل اليمامة وعمان والبحرين وسمي عروضا لا عتراضه بين اليمن ونجد والعراق وكانت اليمامة تسمى قديما (جوا) وذلك عنما نزلتها طسم وجديس فعرفت باليمامة نسبة إلى اليمامة بنت سهم بن طسم ، أما البحرين فإقليم فسيح قريب من الخليج العربي وكانت قاعدتها هجر وقصبة هجر الإحساء.

أما الصحاري فهي أجزاء كثيرة من أراضي الجزيرة وتقسم إلى:

أ- الربع الخالي: ويطلق عليه اسم الصحراء العربية الكبرى، في الوقت ذاته سمي أهل كل قطر ما يليهم اسما خاصاً فطرفها الغربي صهيد والشرق وبار والشمالي يبرين والذي يمتد شمالي حضرموت وشرقيها الاحقاف.

ب- الدهناء أو النفوذ الصغرى: وتعتي الغلاء كثير الكلاء ليس في بلاد العرب مربع مثلها وإذا أخصبت ربعت العرب جميعها، ففيها ينمو العشب كما تنمو الشجيرات القصيرة على متون التلال الرملية مما يجعلها مرعى سائغا لدى البدو القاطنين هناك ومن الطبيعي أن تحتوي الدهناء مناطق لا تصلح لرعي الماشية بسبب انعدام الماء.

ج- صحراء النفوذ الكبرى: وكانت تعرف قديما باسم (عالج) تكسو وجهها شجيرات وأحيانا أشجار فإذا سقط المطر تحول اديم الأرض إلى مراع خضر تسرح فيها الإبل والأغنام وكان ينزل في هذه الصحراء قبائل تيم وضبة.

وقد مكن هذا الموقع الجغرافي العرب من العيش وفق نمطين من أنماط وهما: نمط الحياة البدوي ونمط الحياة الحضرية ففي الداخل وجد البدو أو الاعراب الذين عودتهم حياة البادية بقفرها وجفافها عدم الاستقرار فاغلبهم رعاة يجرون وراء الأمطار النادرة والآبار القليلة على خلاف الحضر المستقرين الدين يقومون بالزراعة والتجارة أو الصناعة ، كما ساعد هذا الواقع على وجود طريق القوافل التي تقطع شبه الجزيرة العربية في كل اتجاه وقد قدم لنا الاصطخري وصفا لأربعة عشر طريقا من طرق القوافل كانت قائمة في عصره ، غير انه بالإمكان الإشارة إلى طريقين رئيسيين كأنت تلتقي بهما كل الطرق هما الطريق الغربي ويمر من اليمن إلى الحجاز باتجاه بلاد الشام وبالعكس ، والطريق الشرقي ويمر من الحجاز إلى بلدان الخليج العربي إلى الحجاز وبالعكس ، وفي المناطق الحساسة على طريق التجارة الأنفة الذكر نشأت مدن القوافل من اجل تقديم الخدمات الى المسافرين والدخول معها في صفقات تجارية متنوعة وكان من ابرز تلك المدن نجران التي تلتقي فيها طرق الجنوب ، ومكة المكرمة التي تمر بها الطرق المتجهة نحو بلاد الشام عبر أراضي الحجاز كما نشأت في العراق وبلاد الشام مدن مماثلة عنى هذه الطرق كالحيرة والحضر وبطرا وتدمر، وقد كان لكل مدينة من هذه المدن دور اقتصادي واجتماعي وسياسي بارز في مرحلة من مراحل شبه الجزيرة العربية ، وفضلا عن الطرق البرية في شبه الجزيرة العربية فقد استخدم العرب البحار المحيطة بسواحل بلادهم كانوا يستخدمون البحر في النقل والتجارة وبخاصه عندما تكون الطرق البرية وعرة أو غير آمنة كما هو الحال طريق ما بين عمان والحجاز ومن المفيد أن نذكر أن وسيلة النقل الوحيدة في الصحراء لسكان الجزيرة العربية هي الجمال وليس لحيوان آخر القدر على اجتياز البوادي

واختراقها وتحمل مشقاتها وعطشها مثل الجمل، تم إنها تتلائم صفاتها مع طبيعة الجزيرة العربية أكثر من غيرها أهمها:

الصبر على العطش لأيام طويلة خمسة وعشرون يوما في الشتاء وخمسة ايام في الصيف لأنها تختزن الماء في جوفها وتعيش عليه كل تلك المدة ، كما يشكل هذا المخزون احتياطيا لأصحابها الأعراب في أوقات انقطاع الماء عنهم واشتداد العطش العطش لإضافة على قدرتها على السير في المناطق الرملية بسبب طبيعة تكوين اخفا: قدرتها ايضا على نقل قدر من الأحمال تعجز عن نقلها الدواب الأخرى ، فهي مركب العرب يحملهم ويحمل تجارتهم وماؤهم وهو ممونهم بالوبر لصنع البيوت حتى قيل للأعراب (أهل الوبر) ومنه يصنعون أكسية عديدة، ولبن الإبل هو لبن أهل البادية وإذا احتاجوا إلى طعام ذبحوا الجمال فأكلوا وأفادوا من جلده وقد أشير إلى استخدام الجمال في شبه جزيرة العرب لا يرجع إلى زمان بعيد فقد ذكر الدكتور جواد علي أن العلماء يرون أن الإنسان ذلل الجمال حتى صيره أليفا مطيعا له في الالف الثانية قبل الميلاد وقد ذهب بعضهم إلى ان العربية الشرقية اي بادية بلاد الشام كانت الموطن الذي ذلل فيه هذا الحيوان في الشرق الأدنى، ويبدو أن العرب قد اخذوا يستفيدون من الجمال ويستخدمونه في تنقلاتهم في أواخر الألف الثاني قبل الميلاد ، وقد ذهب (البريت) إلى أن البداوة الحقيقية على نحو ما تعرفه اليوم من السكنى في البوادي والتنقل فيها على نطاق واسع لم تظهر في شبه الجزيرة العربية الا بعد ترويض الجمل واستخدامه منذ أواخر الألف الثاني قبل الميلاد فالجمل هو الذي فتح لأهل البوادي ووسع البداوة عندهم حتى جعلهم عاما خاصاً مقابل عالم الحضارة في الجزيرة.